من قضايا التاريخ الإسلامي

في كتابات محمد شفيق غربال

د. حسام أحمد عبد الظاهر (*)

يعد أ.د. محمد شفيق غربال (١٣١١ـ ١٣٨١ هـ/١٨٩٤ـ ١٩٦١م) واحدًا من المؤرخين الكبار الذين تركوا أثرًا كبيرًا في حركة الكتابة التاريخية في العصر الحديث؛ وقد أهله الدور الذي قام به إلى وصفه بأنه مؤسس مدرسة التاريخ المصري الحديث، وأنه واضع أسس تمصير التاريخ المصري. ويُصنف شفيق غربال غالبًا على أنه مؤرخ في التاريخ الحديث، وأنه لم يترك سوى كتب قليلة أهمها: محمد علي الكبير، وتاريخ المفاوضات المصرية البريطانية ١٨٨٢ـ ١٩٣٦م، وتكوين مصر.

إن الذي بسطته بإيجاز شديد[1] لا يخفى على الكثيرين، غير أن إسهامات محمد شفيق غربال في التاريخ الإسلامي وقضاياه أمر مجهول يتم الكشف عنه في هذه الدراسة.

وقد دفعني إلى إعداد هذه الورقة ثلاثة أسباب:

أولها ـ الإيمان الحقيقي بأن الحدود والفواصل التي يجعلها معظم المنتمين للتخصص التاريخي بين حقول هذا التخصص ما هي إلا حدود مصطنعة وفواصل متوهمة. وأن التاريخ كل واحد لا يتجزأ؛ وهو ما يتمثل في تجربة شفيق غربال كما سنرى.

ثانيها ـ تخفيف الألم الذي شعرت به بسبب عدم الالتفات إلى ذكرى مرور خمسين سنة على رحيل شفيق غربال مؤسس المدرسة التاريخية المصرية الحديثة ـ في شهر أكتوبر ٢٠١١م ـ ورقم الخمسين رقم احتفالي واحتفائي بالشخصيات التي لها إسهامات غير متكررة؛ فللأسف الشديد مرت ذكرى شفيق غربال هذه ولم تكتب مقالة واحدة عنه، ولم تلتفت أية جهة إلى ذلك .

ثالثها ـ كشف لجانب مجهول من الإسهام التاريخي لشفيق غربال، وهو ذلك الإسهام المرتبط بالتاريخ الإسلامي؛ حيث إن له الكثير جدًا من الإسهامات في حقل

(*) مدرس تاريخ إسلامي .

التاريخ الإسلامي، وهي إسهامات لم تؤخذ في الاعتبار بدعوى ــ غير صحيحة بالمرة ــ أن شفيق غربال كان مؤرخا للتاريخ الحديث، وهذا الكشف الجديد سيجعلنا نعيد التفكير في النظر إلى الإنتاج الفكري لهذا المؤرخ الكبير. وقد ساعد على ذلك أن الله قد وفقني في جمع وترجمة وتحرير أكثر من مائة بحث ومقالة لشفيق غربال لم تنشر من قبل في كتاب[٢]، وهي تمثل المصدر الرئيس لهذه الورقة بجانب بعض الشذرات الواردة في كتبه حول التاريخ الإسلامي.

وبطبيعة الحال لا توجد أية دراسة سابقة تناولت هذا الموضوع وإن كان بعض مؤرخي التاريخ الحديث قد أشاروا إلى موسوعية غربال واهتمامه بفروع التاريخ المختلفة، مثل: محمد رفعت[٣]، ومحمد أنيس[٤]... وغيرهما.

ويرجع تفسير عدم وجود أية دراسات سابقة حول هذا الموضوع ــ في ظني ــ إلى سببين: أولهما ــ ما هو شائع عن أن تخصص شفيق غربال هو التاريخ الحديث؛ ولهذا فمن المستبعد أو غير المتوقع أن تكون له إسهامات مهمة أو محددة في كتابة التاريخ الإسلامي. والسبب الثاني يرجع إلى تعذر الاطلاع على معظم كتابات شفيق غربال في التاريخ الإسلامي لتناثرها في الدوريات وبعض الكتب، مع عدم وجود ببليوجرافية تهدي إليها؛ حتى إنني لم أجد ــ في حدود علمي ــ أية دراسة أو بحث في التاريخ الإسلامي اعتمد على هذه الكتابات أو كانت من مراجعه.

قسمت ورقتي إلى أربعة محاور أساسية تشتمل على مجموعات من قضايا التاريخ الإسلامي ــ كما رصدتها ــ عند شفيق غربال، وهي:

قضايا المصطلح:

ومن المعلوم أن قضية المصطلح من أهم القضايا التي تعين المؤرخ على فهمه للنصوص التاريخية وحكمه عليها، وقد انتبه الأستاذ عباس محمود العقاد لهذا الموضوع في اهتمامات مؤرخنا ذاكرًا أن دراسة غربال للكلمات «أشبه شيء بالبحث عن تاريخها أو مناسباتها التاريخية»[٥].

ومن معالم هذا الاهتمام قيام أ.د. شفيق غربال بتكليف الأستاذ عبد الرحمن زكي مدير المتحف الحربي ــ آنذاك ــ بتأليف كتاب يهتم بالمصطلحات العربية والمعربة المتعلقة بالسلاح، وهو الكتاب الذي أصدرته الجمعية التاريخية سنة ١٩٥١م. وقد أكد غربال في مقدمته لهذا الكتاب على أهمية المصطلح فقال: «كل من يشتغل بالبحث التاريخي يدرك مقدار حاجته لأدوات قريبة المنال، سهلة الاستعمال، تسعفه عند اللزوم لفهم اصطلاح يعترضه أثناء قراءة نص...»[٦].

وقد زاد اهتمام أ.د. غربال بالقضية الاصطلاحية خاصة بعد اختياره عضوًا بمجمع اللغة العربية (١٩٥٦ ــ ١٩٦١م)؛ حيث ترأس لجنة المجمع للمصطلحات

التاريخية والجغرافية، ويذكر غربال بخصوص مصطلحات التاريخ الإسلامي أن هذه اللجنة توصلت إلى أن المؤرخين يستمدون المصطلحات التي يستخدمونها من العلوم والفنون الأخرى؛ مثال ذلك أنه الاسترشاد بتجربة الخوارزمي (ت٣٨٧هـ/٩٩٧م) في كتابه «مفاتيح العلوم» والذي تمثلت طريقته ــ في حصر المصطلحات ــ على استعراض الكتب التاريخية والجغرافية واستخراج ما سماه «الألفاظ التي يكثر ورودها في تاريخ الروم أو فارس أو في المغازي ... إلخ»[٧].

وقامت لجنة المصطلحات التاريخية بضبط وشرح الألفاظ الاصطلاحية الواردة فيه وتقديمها في ثوب معاصر. وقام بهذا العمل ــ تحت إشراف شفيق غربال ــ كل من الدكتور يحيى الخشاب فيما يخص المصطلحات ذات الأصل الفارسي، والدكتور السيد الباز العريني فيما يخص المصطلحات العربية. وهو جهد لم يتم استكماله بدراسة المصادر الأخرى، وهو الأمر الذي إن تم سيمهد الطريق للوصول في النهاية إلى معجم المصطلحات التاريخية الخاصة بالتاريخ الإسلامي على أساس سليم.

وبجانب ذلك قدم غربال إسهامًا في دراسة المصطلحات السياسية في بحثه الذي نشره سنة ١٩٦٠م تحت عنوان «كيف دخلت بعض المصطلحات السياسية في اللغة العربية؟»[٨]. والذي عرض علينا فيه صورًا من تطور المصطلح السياسي، منوهًا بضرورة الاهتمام بالمصطلحات التاريخية والعناية بها لأنها لم تنل ما تستحقه من اهتمام وعناية.

ومن النماذج الدالة في دراسة غربال هذه تطرقه لمصطلح (ثورة) الذي يكثر وروده في المصادر العربية القديمة، ذاكرًا أن دلالة هذا المصطلح التي نعرفه بها الآن لم تُعرف في المصادر العربية؛ حيث إنها لم تستخدم إلا منذ زمن قريب جدًا. بل إنه في زمن الحملة الفرنسية في أواخر القرن الثامن عشر وأوائل القرن التاسع عشر لم يكن معنى ثورة معروفًا بالمعنى الذي نفهمه الآن، والثورة (Revolution) تم التعبير عنها في أول قاموس فرنسي عربي ــ وهو قاموس إليوس بقطر بـ (فتنة) و(قومة)[٩]. وهذا الأمر يفيدنا في التعامل مع الأخبار المصدرية في مصادر التاريخ الإسلامي التي يرد بها ذكر كلمة ثورة، وهي عبارة عن حركات احتجاجية وانتفاضات لا ترقى لمفهوم الثورة المعروفة في أيامنا، وإذا لم نأخذ هذا الأمر في الاعتبار لن نفهم الحدث التاريخي فهمًا سليمًا في سياقه الطبيعي.

وكما يبين شفيق غربال أهمية مراعاة الأبعاد الزمنية في المصطلحات واختلاف دلالة المصطلح من زمن لآخر، يبين كذلك ضرورة الأخذ في الاعتبار الأبعاد المكانية والتي تُحمِل المصطلح معاني في مكان لا توجد في مكان آخر به المصطلح نفسه. ومن المصطلحات التي لفتت انتباه غربال في هذا الصدد مصطلح (الإقطاع) والذي

وجه سهام نقده ــ في إحدى مقالاته ــ لبعض الكتّاب في عصره بسبب عدم فهمهم لدلالات هذا المصطلح الشرقية والغربية وخلطهم بين المدلولين [١٠].

ومن الجدير بالذكر أن غربال وضع برنامجًا وخطة عمل لإنجاز معجم للمصطلحات السياسية في الفكر العربي والإسلامي. وقد قسّم هذه الخطة إلى قسمين: أولهما خاص بأنواع هذه المصطلحات، والتي رأى أنها تنقسم إلى خمسة أنواع هي: «نوع يتعلق بفكرة الدولة، وثان يتعلق بفكرة الحكومة، وثالث يتعلق بالقانون والعدل، ورابع يتعلق بالفلسفة، وخامس يتعلق بالحياة الاجتماعية وآداب السلوك والسير، وما إلى ذلك»[١١]. والقسم الثاني يختص بمراحل هذا البحث. ويؤكد شفيق غربال على ضرورة الرجوع في إعداد هذا المعجم إلى نصوص المعاهدات والاتفاقات وغيرها من وثائق[١٢].

وحقيقة الأمر لم يلق هذا الأمر الاهتمام والعناية التي دعا إليها شفيق غربال؛ فلم نجد بين أيدينا فيما أعلم حتى الآن معجمًا للمصطلحات السياسية التي استخدمها المؤرخون في الحضارة الإسلامية، وهي فكرة لازالت قائمة وتستحق الاهتمام الكبير من قبل مؤرخي الحضارة الإسلامية.

ومما يصلح شاهدًا أيضًا على اهتمامات غربال الاصطلاحية توقفه أمام مصطلح «عصر الجاهلية» شارحًا له ومصوبًا لبعض الآراء تجاهه؛ فيذكر أن كلمة (الجاهلية) تعني «مخالفة القانون، والتمرد» أو «الجهل بوجود ما هو أفضل»، ويؤيد غربال البعض في تفسيرهم للكلمة على أنها تشير إلى العادات البربرية أو البدوية قبل بعثة محمد صلى الله عليه وسلم إلا أنه يؤكد على المعنى الديني لها من حيث كونها تعني نبذ التوحيد الصرف الذي جاء به إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام إلى عبادة الأصنام[١٣].

وبالرغم من أنني لا أميل إلى استخدام صيغة (العصر الجاهلي) للتعبير عن الفترة السابقة لعصر الرسول صلى الله عليه وسلم، وأرى أن التعبير المناسب عنها هو «تاريخ العرب قبل الإسلام» بالنسبة لتاريخ الجزيرة العربية لأنه تعبير حيادي لا يحمل دلالات مسبقة قد يتضمنها وصف «الجاهلي»، إلا أن تفسير غربال للمصطلح يحمل بعض الوجاهة التي تبرر للبعض استخدامه.

ومن أبرز المصطلحات التي يمكن الوقوف عليها في إسهامات غربال الاصطلاحية مصطلح (التاريخ الإسلامي). هذا المصطلح الذي لا بد للمتخصص في هذا الحقل أن يعرف تاريخه وجذوره وأبعاده، ولم أجد من توقف أمامه شارحًا تلك الأمور. ولقد حاولتُ فيما سبق من زمن أن أفتش عن ذلك باحثًا في كتب البيلوجرافيات كفهرست النديم (ت٣٨٠هـ/٩٩٠م) وكشف الظنون لحاجي خليفة

(ت١٠٦٧هـ/١٦٥٧م) فلم أجد عند مؤرخي الإسلام من استخدم هذا المصطلح في التعبير عن الإطار التاريخي الممتد من عصر الرسول صلى الله عليه وسلم إلا في حالات نادرة لعل أوضحها الذهبي (ت ٧٤٨هـ / ١٣٤٨م) في القرن الثامن الهجري/الرابع عشر الميلادي عندما جعل لكتابه عنوان «تاريخ الإسلام» والذي كان الدائرة الأغلب في تراجمه خاصة بالعلماء والمفسرين والفقهاء والمحدثين والمرتبطين بالدين الإسلامي.

في البداية نجد غربالاً ينقد ما اشتهر بيننا في حقل هذا التخصص ولازال مشهورًا حتى الآن من تقييد استعمال كلمة (إسلامي) نقلاً عن العلماء الأوربيين في دراساتهم التاريخية في إطلاق وصف نصراني أو مسيحي إلا على الأزمنة السابقة للعصور الحديثة والمعاصرة. ويوضح غربال طبيعة هذا الخطأ بقوله إن الاستعمال الأجنبي له ما يبرره عندهم، وهو الذي جاء نتيجة للفصل بين ما سموه السياسة وما سموه الدين. ويتساءل شفيق غربال: أما عندنا، فما وجه تبريره؟ وما مقياس الإسلامية؟ أهو وقوع الشيء في عصر سابق للمؤثرات الأوروبية؟.

وينقد غربال ذلك بقوله إن الحضارة الإسلامية كانت مزيجًا من عناصر متباينة شرقية وغربية؛ وعلى هذا فلا يوجد سبب معقول لاستبعاد استخدام مصطلح إسلامي في الفترة التاريخية الحديثة التي شهدت تأثرها بالمؤثرات الأجنبية بينما لا تجردها من هذا الوصف في طور تأثرها بالفلسفة اليونانية القديمة في العصر العباسي مثلاً. مشيرًا إلى أن الحضارة الإسلامية تأثرت بنظم الساسانيين أو الروم، وهذا لم يمنعها من إسلاميتها، وكذلك تأثرت في مرحلة تالية بالمؤثرات الفرنسية أو الإنجليزية، وهذا أيضًا بالتبعية لا يجعلنا ننزع عنها إسلاميتها[١٤].

ويجب الانتباه إلى حقيقة واضحة في سياقها التاريخي وهو أن شفيق غربال في كتاباته ــ حتى تلك التي نُشرت بعد ثورة يوليو ١٩٥٢م باتجاهاتها العربية ــ يرى أن إطلاق وصف «إسلامي» أعم وأصدق من وصف «عربي»[١٥] على هذا المجال من التاريخ.

والذي يخرج به غربال من نتيجة وراء مناقشته المنطقية أنه «لا نستطيع بحال أن نعتبر الحضارة الإسلامية أمرًا طواه الزمان... أو أن التطور الإسلامي قد وقف عند حد معين، بل على العكس نعتبره مستمرًا متصل الأدوار»[١٦].

وهذا التفسير الذي أراه صحيحًا يجعل الباحث يفتش عن رؤية شفيق غربال في قضية أخرى وهي الخاصة بالتحقيب التاريخي والموقع الزمني للتاريخ الإسلامي عنده.

والحقيقة أننا نجد تطورًا ما لدى شفيق غربال في قضية التحقيب أو الإطار الزمني للتاريخ الإسلامي؛ حيث ذكر سنة ١٩٣٨م أن «**العالم الإسلامي قد تطور بموجب الفتح العثماني تطورًا جديدًا**، كما أنه ليس من شك في أن ذلك الفتح يبدأ عهدًا جديدًا في تاريخ أمم أوروبا الشرقية، **ويحق للمؤرخ أن يجعل منه أساس التاريخ الحديث للشرق العربي وللشرق الأوروبي** ــ وأما ما ذهب إليه بعض الباحثين من الغض من شأن هذا الحادث فأمر لا يقوم على نظر قويم؛ فالقول مثلاً بأن المصريين وغيرهم قد خضعوا لحكام من الترك قبل خضوعهم للترك العثمانيين، وأن كل ما جرى في القرن العاشر هو استبدال ترك بترك يغفل فروقًا جوهرية بين النوعين من حكم الترك، ولا يستطيع أي مستقص لأحوال المصريين أو العراقيين إلا أن يدرك مقدار اختلاف طبيعة الحكم السلجوقي في بغداد والخلافة العباسية قائمة، والحكم المملوكي في القاهرة، وتقاليد الفاطميين والأيوبيين مستمرة، عن حكم السلاطين العثمانيين للمصريين وللعراقيين على يد نوابهم من الباشوات، تؤيد هؤلاء أو تعرقلهم جماعات من أجلاف الجند وأخلاط الناس. وأين هؤلاء الباشوات من سلاطين بغداد وسلاطين القاهرة؟ وأين إدارتهم العابثة من تلك الدواوين العربية اللسان الجامعة لكل ذي بيان ولكل صاحب فضل؟»[١٧].

ومعنى ذلك أن شفيق غربال بذلك يحدد حقل التاريخ الإسلامي بنهاية العصر المملوكي، إلا أننا إذا تتبعنا كتابات غربال زمنيًا سنجده يغير هذا الرأي؛ فهذا الذي ذكره غربال سنة ١٩٣٨م سرعان ما قام بتغيير رأيه فيه في أكثر من موطن من كتاباته المختلفة ففي سنة ١٩٤٦م وفي مقالته التي عنوانها «أهم الأحداث في تاريخ مصر الحديث» يذكر أن العصر الحديث في مصر يبدأ عند نهاية القرن الثامن عشر[١٨]. إلا أنه في سنة ١٩٤٩م يراوح بين الرأيين ويذكر أن مصْر في ظل الحكم العثماني عاشت على ما خلفه له تراثها، فلم تزد عليه، وأن هذا العصر الذي يمكن تسميته بعصر الأمراء المماليك هو «عصر الانتقال للعصر الحديث»[١٩] ويذكر في السنة التالية ــ ١٩٥٠م ــ أنه قد امتدت بعد نهاية القرن الثامن عشر عوامل التغيير في المجتمع الإسلامي سواء في مصر أيام محمد علي أو في الدولة العثمانية أيام سليم الثالث ومحمود الثاني أو في إيران أيام فتحي علي شاه[٢٠].

ورؤية غربال الجديدة والمكتملة والتي ظل مؤمنًا بها حتى رحيله أن تاريخ مصر الإسلامية على سبيل المثال يتم تقسيمه إلى فترتين مختلفتين كل الاختلاف في الطول: فالأولى تستغرق من منتصف القرن السابع حتى نهاية القرن الثامن عشر، بينما تشمل الثانية السنوات التالية حتى عصره في منتصف القرن العشرين، مؤسسًا هذه الرؤية بقوله: «شهدت الفترة الأولى تَكَوُّنَ ثقافة إسلامية بلغت قدرًا كبيرًا من الاستقرار

والتماسك سواء في أيام ازدهارها أو في عصر انحطاطها، وسواء نظرنا إليها من وجهة بنائها الداخلي أو من وجهة علاقاتها الخارجية. أما الفترة الثانية فقد شهدت إخضاع تلك الثقافة لدوافع وحركات من الشد والجذب، كانت ذات تأثير بليغ في كيانها»[٢١].

ويمكن القول إن نظرة شفيق غربال إلى الحدود الزمنية لحقل تخصص التاريخ الإسلامي استمرت حتى رحيله، وذلك لأننا نجدها كذلك في كتاب «منهاج مفصل» والصادر سنة ١٩٦١م أي في السنة نفسها التي رحل فيها غربال؛ يؤكد فيه بصورة جلية على تبعية العصر العثماني حتى نهاية القرن الثامن عشر للفترة السابقة عليه ــ أي الإطار الزمني الشائع للتاريخ الإسلامي ــ أكثر من تبعية للفترة اللاحقة عليه، ويبين أن التغيير الطفيف الذي أصاب الأقطار العربية والإسلامية نتيجة للتبعية العثمانية لم يمس شيئًا أساسيًا من مقدمات المجتمع حيث «بقيت عناصره كما كانت : فلاحوه وبدوه وصناعه وتجاره وعلماؤه وأجناده وأصحاب المناصب. وما بين تلك العناصر من العلاقات بقي كما كان. ونظم حيازة الأرض ونظم الجباية هي هي، والواقع الذي يحدث كل يوم هو هو ، والمثل الأعلى هو هو»[٢٢].

ويختلف شفيق غربال في هذه الرؤية عن مؤرخي التاريخ الحديث الذين لا يزالون حتى الآن يدرجون العصر العثماني ضمن دراساتهم، كما أن مؤرخي التاريخ الإسلامي والوسيط يستبعدونه من دائرة اهتماماتهم البحثية ويقصرون ويحددون مدى زمنيًا لدراساتهم بنهاية العصر المملوكي في بدايات القرن السادس عشر الميلادي مقتدين في ذلك باتجاه بعض المستشرقين في وضع حدود فاصلة تعسفية بين الفترات التاريخية، بالرغم من وجاهة جميع الاعتبارات التي ذكرها شفيق غربال ومصداقيتها.

* * *

قضايا الكتابة التاريخية:

ينوه غربال **بقضية مكانة التاريخ في الحياة العقلية العربية**، والدور الذي قام به علم التاريخ تجاه العلوم اللغوية والأدبية والدينية، وتجاه أفراد المجتمع في معاملاتهم، وكذلك تجاه الحكومات التي لم تستغن عن التجارب التاريخية في سياساتها. وأن التاريخ العربي الإسلامي كان واحدًا من أهم أدوات نشر الثقافة العربية الإسلامية بين مختلف شعوب دار الإسلام؛ وبالرغم من ذكره لهذه الحقيقة، إلا أنه يرى أن طلب التاريخ عند المسلمين كان غالبًا لمجرد لذة الطلب والقراءة مستشهدًا بروايات عن الجاحظ والمسعودي. كما يستخلص حقيقة عدم قيام المسلمين بفصل التاريخ عن المواد النثرية، والتي ترتب عليها عدم وجود دراسة نظامية للتاريخ قبل العصر الحديث، كما أن النقاد لم يتعرضوا لأساليبه.

ويؤكد غربال على ضخامة الإنتاج التاريخي عند المسلمين، إلا أنه يوضح أن هذه الضخامة تهولنا مظهرًا لا حقيقة وذلك لثلاثة أسباب هي:

١- كثرة الأسانيد، فيقول: «إذا حذفنا الأسانيد من تاريخ دمشق لابن عساكر أمكننا أن نهبط بالمجلد الواحد من ذلك التاريخ عشرات الأوراق إلى خمس ورقات».

٢- أن المؤرخين اعتادوا أن يوصلوا ما أعدوه بمادة منقولة من كتب السابقين نقلاً حرفيًا وبذا تكبر مصنفاتهم.

٣- هناك من المؤلفات التاريخية ما يصعب اعتباره كتبًا بالمعنى المألوف، وذلك مثل كتاب من جمع بين أختين، وكتاب من تزوج ابنة امرأته، وكتاب من وقف على قبر فمثل بشعر، أو كتاب للحاملين لاسم عبد المؤمن أو عوض....إلخ[٢٣].

وتناول شفيق غربال أساليب الكتابة التاريخية عند المسلمين في العصور الوسطى على اعتبار أنها تُعد جزءًا من تراث المدنية العربية. ويرصد في ذلك الشأن ذيوع أسلوب الخبر عند مؤرخي الإسلام الأوائل، وهو الأسلوب الذي يجمع بين النظم والنثر ويحرص على إثارة انتباه السامع أو القارئ؛ ولهذا نجد أن كثيرًا من كتابات هؤلاء المؤرخين تعتمد على الذوق الفني أكثر من اعتمادها على الأمانة التاريخية، ضاربًا بذلك نموذجًا من كتاب «الأخبار الطوال» لأبي حنيفة الدينوري (ت٢٨٢ هـ/٨٩٥ م) يتضمن كلامًا تم بين معاوية وعمرو بن العاص والذي من المؤكد دار في جلسات سرية، لم يقل لنا المؤرخ الذي عاش في القرن الثالث الهجري كيف بلغه هذا الكلام، بالرغم من أنه ربما كان له أصل من الواقع ولكن لا سبيل إلى نفي ما أدخلته عليه وفيه صناعة المؤرخين. كما يتطرق للطبري (ت ٣١٠هـ / ٩٢٢م) ذاكرًا أنه ــ كما قال في مقدمة كتابه في التاريخ ــ أنه أدى كل ما ورد في كتابه على نحو ما أُدى إليه دون استخراج بعقل، ولا استنباط بفكر.

ولا ينفي شفيق غربال عن المؤرخين المسلمين محاولة تنفيذ بعض الأفكار العظيمة في الكتابة التاريخية؛ مثل كتاب مسكويه (ت٤٢١ هـ/١٠٣٠م) المعروف «تجارب الأمم»؛ غير أن غربال يرى أن فكرة الكتاب أعظم من تنفيذه، ويضع شفيق غربال مسكويه في سياقه الزمني ويقول إنه وفق توفيقًا كبيرًا حينما أخذ يقترب من عصره، فاستفاد استفادة حقيقية من تجاربه شارحًا أسباب الحوادث ونتائجها.

وكما درس شفيق غربال مؤرخين يتسع نطاق التاريخ لديهم ليحيط بالشعوب عمومًا وبشعوب دار الإسلام خصوصًا، درس المقريزي (ت٨٤٥هـ/١٤٤١م) والجبرتي (ت١٢٣٧هـ/١٨٢٢م) والذي يضيق نطاق التاريخ لديهما فيؤرخان لما يخص وطنهما مصر.

وبالرغم من أنه لا يخفى على شفيق غربال إسهامات كبار المؤرخين المسلمين كابن خلدون[٢٤](ت ٨٠٨هـ/١٤٠٦م) وغيره في محاولاتهم التفسيرية، إلا أنه يصف التأليف التاريخي في معظمه بأنه أضعف ما خلفته الحياة العقلية العربية، مع إدراكه لمعرفة المؤرخين العرب لبعض معالم مناهج النقد التاريخي والمستمدة من مناهج دراسة الحديث النبوي وأسباب هذا الضعف في رأيه ترجع إلى:

١- ضعف الخيال التاريخي أو التصور.

٢- انعدام أي إحساس يذكر بالكفاح بين قوتي الخير والشر في التاريخ أو بالفروق بين الأمم.

٣- عدم التحليل الدقيق للشخصيات التاريخية.

٤- ندرة أن يبدي واحد منهم ما يدل على رغبة قوية في الاستطلاع والتفهم والتعرف على البعيد عنه زمانًا ومكانًا من الوقائع والحقائق[٢٥].

كما ينقد غربال المؤرخين المسلمين في عدم قيامهم بالتركيب، ويذكر أنه أقل ما عني به علماؤنا الأقدمون. والتركيب كما يذكره هو العرض المعقول المعلل، وإن كان موجزًا أو قليل التفصيل ــ لنمو التاريخ الإسلامي طبقًا لاجتهاد المؤلف ونفاذ تصوره ووضوح فكرته. ويُرجع غربال أسباب قلة الاهتمام بذلك إلى انشغال علمائنا الأقدمين بالجمع والرواية من جهة وانغماسهم جسدًا وروحًا في محيط الحوادث من جهة أخرى[٢٦].

وعلى الرغم من النقد الذي يوجهه غربال للكتابة التاريخية عند المسلمين إلا أنه يعود فيؤكد على أن علم التاريخ في الحضارة الإسلامية يتسم بصفتي العظمة والإنسانية، وأنه يخلو من الكثير من الشوائب الموجودة في كثير من كتب التاريخ عند الأمم الأخرى[٢٧].

ومما يرتبط بقضايا الكتابة التاريخية **قضية الإلهام عند المؤرخين المسلمين**، والتي تناولها شفيق غربال ــ متأثرًا بأفكار أستاذه أرنولد توينبي ــ في مقالة بالغة العذوبة[٢٨] محددًا في البداية أي مؤرخين يقصد فيقول إنهم «أولئك الذين تأثروا بمؤثرات بلغت في بعض الأحيان حد العنف، وعبروا عن شجونهم أو انفعالاتهم أو إحساساتهم بالتأليف التاريخي». أما الإلهام الذي يقصده فيعني به «وصف لما ينتاب المؤرخ من جراء الأزمة التي تدفع به نحو ذلك التعبير بالتأليف التاريخي ويوحى إليه أحيانًا بموضوع التأليف وبأسلوبه». ويطبق هذا الأمر على بعض المؤرخين ومنهم ابن خلدون الذي لمس في حياته الخاصة جميع ما تعرض له الأندلس والمغرب من مبادي الدول ومراتبها وتزاحمها وتعاقبها... فهو في الجملة ــ بالنسبة إلى المؤلف ــ

«فرج من بعد ضيق وخلاص من بعد شدة... فأما الضيق والشدة فمرجعهما خراب الأندلس وخراب المغرب وتزاحم الدول وتعاقبها، وقد عانى من جراء ذلك ما عانى».

ومن القضايا الشائكة في الكتابة التاريخية عند المسلمين قضية التأثير المذهبي أو **كتابة التاريخ بين السنة والشيعة**؛ حيث يشكو كل من المؤرخين السنيين والشيعة من معالجة مؤرخي كل فريق منهم لأحداث التاريخ الإسلامي ويقول: «لا أزعم أنه من الممكن تأليف تاريخ يرضى به الفريقان تمامًا، إذ أن لكل منهما نظرة تقوم على مقدمات مسلمة لا يقبلها الفريق الآخر»؛ ولهذا يضع غربال إطارًا يمكن من خلاله علاج هذه المشكلة يتمثل في إنشاء تاريخ يحترمه كل منهما يقوم على:

١- عرض وجهتي النظر.

٢- الخلو من الاستهجان والذم والامتهان.

٣- نوع من التقريب القائم على الاحترام المتبادل والتفاهم وإيثار المصلحة الأعم على المصلحة الأخص[٢٩].

ومن قضايا كتابة التاريخ التي لاقت اهتمامًا لدى شفيق غربال **قضية المصادر التاريخية** التي لم تلق عناية تستحقها في النشر. وهذا ما يبينه دعوته لتحقيق كامل لكتاب «تجارب الأمم»[٣٠] لمسكويه، وهو الأمر الذي لم يتحقق إلا بعد دعوته هذه بأربعين عامًا في الطبعة التي حققها أبو القاسم إمامي وصدرت في طهران سنة٢٠٠١م، وأيضًا إشارته إلى الإخراج الحقير ــ وفقًا لتعبيره[٣١] ــ لخطط المقريزي وكأنه كان واعيًا بطريق غير مباشر إلى ضرورة إعادة تحقيق هذا الكتاب الجليل تحقيقًا يليق به، وهي الأمنية التي لم تر النور إلا خلال السنوات ٢٠٠٢ــ٢٠٠٤م حين تصدى لتحقيقه أيمن فؤاد سيد ونشرته له مؤسسة الفرقان في لندن.

ويهتم شفيق غربال باثنين من أنواع مصادر التاريخ الإسلامي العديدة التي رجع إليها على غاية كبيرة من الأهمية وهما **الوثائق والآثار**.

بالنسبة للوثائق يعتبر غربال أحد مؤسسي مدرسة التاريخ بالاعتماد على الوثائق في مصر[٣٢]، وهو ما يظهر واضحًا في كتاباته المختلفة في التاريخ الحديث، وقد انسحب ذلك أيضًا على اهتماماته بالتاريخ الإسلامي؛ فيذكر أن الوثائق ينبغي أن تكون قريبة للدارس [٣٣].

ويأتي إدراكه لأهمية الوثائق في التاريخ الإسلامي لسببين: أولهما سبب خاص يتمثل في تأخر عصر التدوين نسبيًا، وثانيهما سبب عام وهو أن الكتب ترسل أحكامًا عامة قد تصدق وقد لا تصدق على جميع الأحوال والأمصار؛ ولهذا ينبغي مقارنتها بالوثائق التي تتناول ما حدث فعلاً[٣٤].

ومن الجدير بالذكر أن شفيق غربال وإن لم يساهم في حركة نشر الوثائق العربية إلا أن له جهود ملموسة في الاهتمام بها ونشرها، وهو ما نراه بارزًا في إدراكه لأهمية الوثائق البردية العربية في تصحيح أحكام الكتب التاريخية[٣٥] وهو الأمر الذي دفعه إلى تكليف أدولف جروهمان إلى تأليف كتاب عن هذه الوثائق لتنشره له الجمعية التاريخية. وبالفعل قام جروهمان بالاستجابة لهذا التكليف ووضع كتابه: From the world of Arabic Papyri والذي نشرته الجمعية التاريخية سنة ١٩٥٢م، وهذا الكتاب يحوي مقدمة مطولة عن البرديات العربية، كما يضم نشرًا للعديد من الوثائق البردية من مجموعات بردية مختلفة.

كما أن غربال في دراسته للتاريخ الاقتصادي العربي ينوه بحقيقة أن العمل في الوثائق العربية لا زال في مبدئه[٣٦]، وفي دراسة له أخرى عن تاريخ الأزهر يعلق على الدراسات التي قامت حوله بقوله «لا أعرف أحدًا رجع إلى الوثائق الأصلية، بل لا أعرف أحدًا ابتدأ بحصر تلك الوثائق فنحن إذن في البداية وأمامنا كل شيء»[٣٧]. وبالرغم من تكرار هذه الدعوة إلا أن الاهتمام الذي تلقاه الوثائق لا زال محدودًا جدًّا.

وبجانب ذلك اهتم غربال بنصوص الوثائق العربية التي ضاعت أصولها، كمجموعة الوثائق الفاطمية الذي أوصى مجلس إدارة الجمعية التاريخية بنشرها مع توصية بأن يقوم بتحقيقها جمال الدين الشيال وإعدادها للنشر، وبالفعل صدرت هذه المجموعة في عام ١٩٥٨م[٣٨].

هذا عن الوثائق، أما بالنسبة للآثار فإن شفيق غربال يرى أنها إن أُحسن استعمالها تقدم للمؤرخ خاصة في الموضوعات الاقتصادية أدق المعلومات وأغزرها وأصحها[٣٩]. ويأتي اهتمامه الكبير بالآثار واضحًا في إنشاء متحف الحضارة المصرية والذي كان غربال أنشط أعضاء اللجنة المكلفة بإنشائه وأكثرهم إنتاجًا، وظل في جهد متواصل لعدة سنوات حتى ظهر هذا المتحف إلى النور. وضم هذا المتحف قسمًا خاصًّا بتاريخ مصر الإسلامية.

وهناك نوع من التاريخ أسماه غربال «التاريخ الأثري»[٤٠] منوهًا بأن هذا النوع من التاريخ ليس بالشيء الجديد، بل هو من أهم ما عني به المصريون في مختلف عصور تاريخهم، وقد طلبوه مرتبطًا بالخطط[٤١]. ويؤكد غربال على أهمية أسلوب الخطط في الكتابة التاريخية فيذكر أنه يجمع بين مزايا المرجع، يرجع إليه الباحث لتحقيق جزئي أو تفصيلي، ومزايا الدراسة المستفيضة لموضوع أو لمطلب، وهو أيضًا أسلوب يتميز بصفة الجمع بين العلم القديم الموروث، وبين ما طرأ عليه من تجديد أدى إليه تقدم البحوث[٤٢]. ومما يندرج ضمن التاريخ الآثاري الفنون والصناعات، ويمكن للقارئ لكتابات غربال أن يخرج بنتيجة مفادها إيمانه الكامل

بأنها من خير المظاهر التي تتجلى فيها الشخصية العربية والإسلامية[٤٣]؛ ولهذا فهو يدعو المؤرخين إلى الاهتمام بها كمصدر لا غنى عنه في بحوثهم.

وآخر قضية يمكن تناولها ضمن هذه المجموعة هي **قضية الاستشراق وكتابة التاريخ الإسلامي**. وبطبيعة الحال لا يمكن النظر إلى حركة الاستشراق على أنها اتجاه واحد بل إنها تتضمن بداخلها العديد من الاتجاهات، إلا أن هناك سمات عامة لكتابات الكثير من المستشرقين في مؤلفاتهم في موضوعات التاريخ الإسلامي، وهذه السمات يحصرها شفيق غربال[٤٤] فيما يأتي:

١- حسن استخدام الأصول العربية.

٢- التمكن من مناهج النقد والتحليل.

٣- عرض التاريخ الإسلامي كفصل أساسي من فصول تاريخ الإنسانية يؤثر فيها وتؤثر فيه، وبه من الفضائل أو الرذائل كأي جماعات إنسانية.

٤- دراسة ماضي الأمم التي تكونت منها الأمة الإسلامية، وهذا يؤدي إلى قدرة المستشرقين على تعليل موقفها من الإسلام وما لها بعده وأثرها في الحضارة الإسلامية.

٥- دراسة ديانات التوحيد ومعتقدات الجماعات، وبهذا يقدر المستشرقون العوامل الدينية وأثرها في المجتمعات الإسلامية، كما يستطيعون عرض الفرق والحركات الانفصالية دون الوقوف منها موقف البغضاء والكراهية.

٦- معرفة أثر العوامل الاقتصادية والاجتماعية في الأمم فلا يستأثر التاريخ السياسي أو الحربي والطبقات الحاكمة بكتابتهم للتاريخ بل ينال العامل والفلاح وطبقات العمال والفلاحين دورهم الذي يستحقونه في التاريخ.

٧- محاولة التركيب بعد التحقيق، أي العرض المعقول المعلل للتاريخ الإسلامي طبقًا لاجتهاد المؤلف ونفاذ تصوره ووضوح فكرته.

ويجب التفرقة في رؤية غربال تجاه المستشرقين بين الفكر أو الفلسفة التي تحكم تعاملهم مع المادة التاريخية وبين توظيف الكثير منهم لهذا الفكر لخدمة بعض الأغراض غير العلمية؛ وهو ما يظهر في مناقشات غربال وردوده وتعقيباته على كثير من الآراء الاستشراقية التي لا تدل على فهم صحيح لحقائق التاريخ الإسلامي، ومن ذلك:

١- ربطه بين بعض صور حركة الاستشراق وبين حركة الشعوبية المعروفة في التاريخ الإسلامي قائلاً بأن خصوم العرب [والمسلمين] قديمًا وحديثًا يصدرون عن بغضاء وحقد هادفين إلى الحط من قدر العرب ودورهم التاريخي في

الماضي والحاضر، مستشهدًا بالعديد من الاستشهادات الدالة على ذلك سواء من حركة الشعوبية أو حركة الاستشراق[٤٥].

٢- تأكيده على عدم تغييب عامل الزمن ودوره في اختلاف حركة الاستشراق ويرى غربال أن الاستشراق قبل انتقال فكرة التنظيم العالمي إلى حيز المباحث السياسية العلمية ــ أي في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر ــ جاء مواكبًا لحركة الاستعمار الأوربي لبلدان العالم الإسلامي، ذلك من أجل تحقيق مصالح أوروبية مختلفة يأتي من بينهما: تقديم حقائق عن الإسلام والمسلمين لتيسير مهمة الحاكم الأوروبي، وخلق ميادين جديدة لانتشار الأفكار الأوروبية خاصة ما يتصل منها بالمذاهب الاجتماعية...إلى غير ذلك. ويؤكد غربال على أن هذه المصالح الأوروبية تؤسس على فكرة أن رسالة الإسلام قد قضيت وأنه لا رجاء للمسلمين إلا بأخذ فكرة الحركة عن المجتمع الأوروبي والتخلي عن فكرة المحافظة والسكون[٤٦].

٣- تعليقه على رأي برنارد لويس عن العقلية العربية وأنها عقلية ذرية تنظر إلى الأشياء على اعتبار أنها كليات متفككة لا رابطة بينها ولا يتركب منها كل واحد، يقول: إن هذا الرأي يعيبه أمران: أولهما إطلاقه لهذا الحد. وثانيهما أنه نظرة مُحْدَثة من رجال القرن العشرين متأثرة بنظرة العالم وتفكيره في هذا القرن، ويحكم غربال على هذه الرؤية الظالمة للعقلية العربية بأنها لا تستحق منا أن نعترف لها بالسلامة من كل شك أو أن نسلم لها بكل الصحة[٤٧].

٤- حديثه عن الرأي الشائع القائل بأن العرب ما هم إلا نقلة للعلوم لمن أثبتوا فيما بعد أنهم أولى بها منهم فيذكر أن في ذلك كل الفضل لثلاثة أسباب:

أ- أن نقل العلم يفيد تحصيله ثم دره ثم نشره.

ب ــ أن العلم يتطور بانتقاله من مرحلة لأخرى.

جـ ــ تعدد المنابع التي أخذ عنها العرب من هندية وفارسية وقبطية وآرمية ومصرية ويونانية وأن ما فعله العرب من خلق مركب واحد من هذه العناصر المتباينة يُظهر الأصالة الحقيقية لهم[٤٨].

٥- مناقشته الرأي القائل بأن معظم أصول العلماء الكبار غير عربية وأنهم من الأعاجم، ورد على ذلك بأن هذا الأمر يُعد فخرًا للعرب لأنهم نجحوا في إلحاق أهالي هذه الشعوب بهم في سبيل تكوين مجتمع واحد، ونجحوا في ذلك، والدليل عليه إلحاقهم مبتكرين خالقين مبدعين، والابتكار والخلق والإبداع ليس أبدًا من صفات الأذلاء[٤٩].

ويتوقف غربال بالدرس بالتحليل أمام مدرسة الاستشراق الفرنسية خاصة ما يرتبط منها بدراسة تاريخ الشام في العصر الإسلامي، وهي المدرسة التي تعتبر الشام امتدادًا طبيعيًا لانتشار الشعوب الأوروبية من يونانيين ورومانيين، ولكن ليس من الطبيعي عندها أن تكون الشام عربية أو تابعة لدول إسلامية كالطولونيين والإخشيديين أو أن يكون من سكانها مسلمون. ويؤكد شفيق غربال هذه الرؤية عن طريق فحص أعمال اثنين من كبار مستشرقي هذه المدرسة، وهما: سوفاجيه (Sauvaget) ولامانس (Lammens).

وإذا أخذنا لامانس كدراسة حالة معبرة عن فكر شفيق غربال تجاه أعماله سنجد شفيق غربال يخرج بعدة نتائج بناءً على نقده للامانس، والذي نلخصه في أربع نقاط هي:

١- إن تخصص لامانس في الكتابة عن العصر الأموي ليس بهدف تحري الإنصاف لهذه الدولة وإنما بهدف إفساد التاريخ العربي عن طريقتين: أولاهما مجرد الرغبة في معارضة جمهرة المؤرخين المسلمين في تنديدهم ببني أمية. وثانيتهما محاولة إثبات أن فضل الأمويين يرجع إلى أن سياستهم امتداد لسياسة تجار قريش قبل الإسلام أي أنها سياسة كانت قليلة التأثر بالاعتبارات الدينية.

٢- التناقض الكبير الذي يقع فيه لامانس؛ فمثلاً في موطن يسلم بحركة استيطان العرب قبل الإسلام في بلاد الشام، وما كانت لهم فيه من دول وإمارات، ثم في موطن آخر يذهب إلى أنه لا يوجد في الشام مسيحيون من أصل عربي.

٣- اتباع لامانس لطريقة توهيمية في عرضه عن طريق لي عنق النصوص لخدمة الأفكار المسبقة التي لديه، ويضرب غربال مثالاً على ذلك باستشهاد لامانس بأحد نصوص المقدسي في أحسن التقاسيم الخاصة بازدهار تجارة بلاد الشام في العصر الإسلامي، حيث نرى لامانس يستنتج منها أعظم موارد الشام التي لم تفلح اضطهادات المسلمين وحكمهم المزري لها عن إفقارها. فبدلاً من أن يقنعه هذا النص بازدهار الشام في العصر الإسلامي يجعله يؤكد من خلاله على فكرته المسبقة عن الاضطهاد الإسلامي والحكم المزري للمسلمين.

٤- افتقار آراء لامانس إلى الأسس السليمة التي يبني عليها نتائجه وعدم دقته في كثير من المعلومات التي يذكرها كقوله بوفاة سليمان بن عبد الملك في حصار القسطنطينية وهو خطأ، أو ترويجه لأفكاره الخاصة وإسقاطها على التاريخ الإسلامي؛ كقوله عن حرمان غير العرب من الحقوق السياسية، أو فكرته عن تطلع أهل الشام إلى ظهور السفياني نصير «الحرية الشامية» حيث إنه كلام لا يستند إلى شيء ولا يوجد مصدر واحد تحدث عن الحرية الشامية، أو ذكره

وجود مملكة لاتينية متماسكة، مع أن ذلك يُعد وهمًا في ظل ما هو معروف في تاريخ الصليبيين من الشد والجذب بين الأمراء الإقطاعيين على مختلف مراتبهم، وبينهم وبين الكنيسة، وبين الجاليات التجارية الإيطالية، أو بين الصليبيين الذين ولدوا في الشام والصليبيين الوافدين حديثًا[٥٠].

* * *

قضايا التاريخ الإسلامي العام:

لشفيق غربال إسهامات في الكثير من موضوعات التاريخ الإسلامي بدءًا بتاريخ العرب قبل الإسلام، ثم عصر الرسول صلى الله عليه وسلم، والعصور التالية له من راشدين وأمويين وعباسيين، كما كتب في تاريخ الغرب الإسلامي بجناحيه المغربي والأندلسي، وكذلك لم يغب عن كتاباته الحديث في تاريخ أفريقيا الإسلامية، وتاريخ الشرق الإسلامي والوجود الإسلامي في الهند والصين... إلى غير ذلك. يضاف إلى ذلك أن له إسهامات في الكتابة في الجوانب الحضارية في التاريخ الإسلامي سواء كانت نظمًا أو ما يرتبط منها بالتاريخ الاقتصادي والاجتماعي والثقافي والديني... إلخ.

والإطار الذي يحب شفيق غربال أن يتحرك فيه عند دراسة الحضارة الإسلامية هو الذي أفصح عنه في إحدى مقالاته والذي يمكن إيجازه في خمس نقاط هي:

١- مصادر الحضارة الإسلامية وفروعها.
٢- تتبع الحضارة الإسلامية في انتشارها والتغيرات التي طرأت عليها.
٣- كيف تطورت الحضارة الإسلامية؟.
٤- العناصر البشرية التي كانت وراء التطور والدوافع التي كانت تسيرها.
٥- العقبات التي كانت تقف أمام تطور الحضارة الإسلامية[٥١].

ويكفي القول ــ اختصارًا ــ إن طريقة غربال في كتابة هذه الموضوعات محملة بالتحليلات والآراء والمقارنات والاستنتاجات وعدم الوقوف فقط على الأحداث والتفصيلات التاريخية التي تملأ المصادر.

ومن الممكن تناول بعض القضايا الخاصة بالتاريخ الإسلامي العام عند شفيق غربال، وأولها قضية تطور الخريطة الزمنية للعالم الإسلامي، والتي تطرق إليها غربال في دراسته لسياسة التوسع الإسلامي خارج شبه الجزيرة العربية. ويقسم غربال دراسته للمجتمع الإسلامي خلال القرون الخمسة الأولى للهجرة إلى مرحلتين: أولاهما مرحلة التأسيس وتضم القرنين الأول والثاني. وثانيتهما مرحلة التطوير وتضم القرون الثلاثة الأخرى[٥٢].

ويُعتبر شفيق غربال من المؤيدين للرأي القائل بأن حركية انتشار الإسلام جاءت عن طريق سلسلة من القفزات السريعة ، وأن هذه الحركية يمكن رصدها زمنيًا عبر أربع درجات تتمثل في:

١- الفترة من ١٠ ــ ١٣٣ هـ: توسع رقعة الحكم الإسلامي من أواسط آسيا شرقًا حتى مراكش وإسبانيا في أقصى الغرب.

٢- قرابة قرنين ونصف ظل العالم الإسلامي كما هو؛ امتد بعدها حتى شمل غربي أفريقيا وآسيا الصغرى وآسيا الوسطى وشمالي الهند، وكان ذلك بين عامي ٤٠٠ــ٥٠٠هـ (حوالي ١٠٠٠ــ١١٠٠م).

٣- وبعد قرنين آخرين كانت هناك موجة أخرى من التوسع اندفعت صوب شبه جزيرة البلقان ومنحدرات روسيا وسيبيريا وبقية أرجاء الهند وإلى أندونسيا.

٤- أضحت خريطة العالم منذ مطلع القرن التاسع الهجري كما هي عليه باستثناء زوال الإسلام من شبه جزيرة إيبيريا وصقلية وتغلغله في بعض المناطق ــ على نطاق ضيق ــ لاسيما في أفريقيا[٥٣].

وبناء على هذا التدرج الزمني يخرج شفيق غربال في دراسته برأي ــ يستحق المناقشة ــ من أن الإسلام في المدة الواقعة بين عامي ١٣٣ ــ ٤٠٠ هـ (٧٥٠ ــ ١٠٠٠م) بلغ تمام نضوجه، وعلى ذلك، فإن المناطق التي دخلت في الإسلام بعد تلك المدة لا يمكن أن تزعم أنها ساهمت مساهمة أصيلة في تطور الثقافة الإسلامية.

ولشفيق غربال نظرات سديدة في واحدة من أخطر القضايا في تاريخ الإسلام وهي **العوامل التاريخية التي أدت إلى شطر العالم الإسلامي** إلى شرق أقصى يقع شرق العراق وإلى وسط يمتد من العراق إلى مصر وإلى مغرب يقع غربي مصر. ويذكر أن الشطر في حد ذاته قديم وهو إلى حد ما طبيعي متأثر بحقائق التاريخ والجغرافيا، إلا أنه قد حدثت عوامل تاريخية طارئة فصلت هذه الأقسام بعضها عن بعض، ويرصد هذه الأحداث التي أدت إلى نتائجها القريبة والبعيدة إلى انقسام العالم الإسلامي، وتتمثل في:

١- اشتداد الضغط الصليبي على الأقطار الوسطى والمغربية من العالم الإسلامي في حوض البحر المتوسط.

٢- اكتساحات التتار في الشرق التي أدت في نتائجها البعيدة إلى انفصاله عن سائر أقاليم العالم الإسلامي، وبدأت أوضاعه تتضح في فارس والإمارات الفارسية، وأفغانستان، والهند الإسلامية.

٣- إجلاء المسلمين عن الأندلس ومهاجمة المغرب.

٤- حركة التطويق البحرية الأوروبية لبلدان العالم الإسلامي[٥٤].

وفي شرحه المستفيض لنظريته هذه لا يهمل غربال المحاولات التي قامت من أجل إعادة بناء الوحدة الإسلامية: وأولها: محاولة الجبهة الإسلامية مواجهة الصليبيين. وثانيها: محاولة الدولة العثمانية إعادة بناء الوحدة الإسلامية، والتي لم تكن باليسيرة، وفشلها في ذلك (٥٥).

ويدرس شفيق غربال **قضية القبلية والبداوة في التاريخ الإسلامي**. ويذكر أنه بالرغم من أن الإسلام أنكر نظريًا فكرة المجتمع الوثني القبلية، إلا أن نظام القبلية بقوته الداخلية وأسلوبه في معاملة الغرباء ظل أمرًا مفيدًا بحيث لم يكن بالإمكان الاستغناء عنه أو نبذه. وهكذا تم تشكيل القوات المحاربة على أساس قبلي، كما تم تخطيط الأحياء في المدن المحصنة وتوزيعها على أسس قبلية كذلك. وسكان الأقاليم الذين دخلوا في الإسلام لم يكونوا مجرد أعضاء في المجتمع، بل اندمجوا في القبائل وانتسبوا إليها أتباعًا موالي كما كانوا يدعونهم، ولم يعاملوا على قدم المساواة مع العرب، إخوانهم في العقيدة.

وظلت مشكلة الموالي ــ سكان الأقاليم الذين دخلوا في الإسلام وانتسبوا إلى القبائل العربية ــ مشكلة تحير المجتمع الإسلامي إلى أن جاء الخلفاء العباسيون وتقوض الكيان القبلي(٥٦). غير أن شفيق غربال يرى أن بذور القبلية والبداوة ظلت كامنة إلى القرن الخامس الهجري الذي شهد بعثًا جديدًا للبداوة مع انقسام المسلمين إلى ثلاث خلافات، وأن هذا البعث شهده التاريخ الإسلامي ممثلاً في ثلاث قوى كبرى هي العرب والبربر والأتراك(٥٧). فالبداوة هي العامل المشترك بين هذه القوى الثلاث.

وبجانب هذه القضية يتطرق غربال إلى قضية ترتبط ببعض جوانبها بالحضارة الإسلامية وهي **قضية المؤثرات الحضارية للبحر المتوسط**. حيث ينقد غربال الرؤية التي تصدر عن معظم الكتّاب الأوربيين والتي لا يعترفون فيها للبحر المتوسط إلا بالحضارة الأوروبية المنحدرة من الأصل اليوناني، وينظرون لأمم البحر التي رفضت الاندماج فيها نظرتهم للدخلاء الجامدين أو المتعصبين. ويرى غربال أن هذه الفكرة سياسية قبل أن تكتسي ثوب العلم، وهي من ناحية العلم كما هي من ناحية السياسة لا تصلح لأي عمل قويم(٥٨). وأن الدول التي قامت حول البحر المتوسط تنوعت ثقافتها وتعددت أشكالها وأوضاعها، أثّرت فيها ظروف البحر الثابتة وقرّبت فيما بينها في بعض عناصرها ولكن لم تستطع أن تحول ثقافاتها إلى ثقافة واحدة أو حضارة واحدة.

ويبرهن على ذلك عن طريق استعراضه للحوادث التاريخية الكبرى التي تبين أن البحر كان ملتقى حضارات وليس حضارة موهومة اسمها حضارة البحر المتوسط. ويذكر أنه تم للرومان إخضاع أمم البحر لحكومة واحدة، وبالرغم من ذلك لم تقم

حضارة واحدة وكان نجاح الرومان أتم خارج حوض البحر لا داخله فيما وراء جبال الألب في فرنسا وفي الغرب الأوروبي، ولكن الأمم اليونانية والشرقية لم تنهدم شخصيتها بل احتفظت بمقوماتها وانبعثت منها المسيحية، ثم حدثت الإغارات الجرمانية والعربية الإسلامية والصليبية فتمزقت وحدة البحر السياسية، وتم وضع أساس الأوضاع الراهنة حضارة أوروبية على سواحل البحر الشمالية وحضارة عربية إسلامية على سواحله الشرقية والجنوبية. ولم تخل واحدة منها من مؤثرات البحر فاختلفت إسبانيا وفرنسا وإيطاليا عن إنجلترا وألمانيا، واختلف المغرب الإسلامي عن إيران والهند ولكن بقيت إسبانيا وفرنسا وإيطاليا قطعة من أوربا، ويبقى المغرب الإسلامي قطعة من دار الإسلام[٥٩].

القضية الرابعة التي أود طرحها هي **قضية البطولة في التاريخ الإسلامي**. وكان شفيق غربال مؤمنًا بأهمية البطولة ودور الفرد في صناعة التاريخ. والبطولة عنده يمكن أن تكون عمل فرد، ويمكن أن تكون عمل مجموعة، ويمكن أن تتجلى في عمل يحدث بارزًا قائمًا بنفسه، ويمكن أن تتجلى في عصر بأكمله أو في حياة طائفة من الشعب، ويمكن أن تكون عملاً حربيًا كما يمكن أن تكون نشاطًا مدنيًا[٦٠].

ويدخل في إطار إيمان غربال بالبطولة تصديه للكتابة عن حياة أعمال عدد من رواد الفكر الإسلامي كالحسن البصري، وأبي العلاء المعري، والغزالي، وابن تيمية. هذا بالإضافة إلى كتابته كذلك عن بعض الشخصيات السياسية المحورية في التاريخ الإسلامي كصلاح الدين الأيوبي، وأحيانًا ما يتبع غربال طريقة المقارنات التاريخية بين الشخصيات باختلاف عصورهم وبيئاتهم، وباختلاف أزمنتهم وأمكنتهم، كمقارنته بين صلاح الدين الأيوبي ومحمد علي الكبير[٦١]، راصدًا لعناصر الشبه والاختلاف بين كل منهما. ويعمل شفيق غربال في دراسته للشخصيات أو تعرضه لها على استخدام المادة التاريخية من أجل الوصول لشخصية صاحب الترجمة، وهو ما عبر عنه بقوله: «منهج ربط شخصية المترجم له بحركة هامة فيعني المتحدث بصفة خاصة ببيان أثر الرجل في الحركة المقترنة به»[٦٢].

ونجد صدى واضحًا لإيمان شفيق غربال بالبطولة ودور الفرد في التاريخ في اهتمامه بالتراجم كإحدى فنون التأليف التاريخي في الحضارة الإسلامية، ويظهر هذا الاهتمام في عدة صور:

أولها ــ كتابته عن كتب التراجم عند المسلمين باعتبارها أحد العناصر الأساسية للنقد العلمي، ورصده لأنواعها سواء كتب طبقات، أو كتب تراجم عامة، أو خاصة برجال قرن من القرون أو قطر من الأقطار أو حاضرة من الحواضر...إلخ[٦٣].

ثانيها ــ نقده لحركة التأليف في التراجم عند المسلمين وأنها قلت فيها الترجمة التحليلية التصويرية لرجل واحد[٦٤].

ثالثها ــ تأكيده على وجوب الاستفادة من الحدود والضوابط التي وضعها علماء المسلمين القدامى فيما يخص أحكام المؤرخين على الرجال، والتي خلاصتها أن لا مبرر للخوض في الرجال إلا لأغراض التحقيق العلمي طبقًا لأصول العلم وأوضاعه أو مصلحة ظاهرة للجماعة أو الأمة[٦٥].

رابعها ــ ما أعلنه شفيق غربال في شهر أغسطس سنة ١٩٤٨م عن اهتمام الجمعية الملكية للدراسات التاريخية [الجمعية المصرية الآن] وتصديها لإعداد «معجم شامل لرجال مصر منذ أقدم العصور حتى الآن، وهو عمل ضخم، لا يعادله معاجم الألمانية والإنجليزية والفرنسية والأمريكية التي نعرفها، وذلك على الأقل بحكم طول التاريخ المصري»[٦٦].

وهو يُظْهِر إيمانه بالبطولة وأثرها في الأحداث التاريخية في مقولته الشهيرة «مصر هبة المصريين» والتي يؤكد من خلالها أن تكوين مصر خلال جميع العصور كان من صنع جماعة المصريين[٦٧]، أي أن هناك نمطًا آخر من البطولة يمكن تسميته بالبطولة الجماعية.

ونظرة غربال في البطولة الجماعية طبقها على إحدى المعارك الكبرى في التاريخ الإسلامي وهي موقعة عين جالوت، ويرى أن البطولة في هذه المعركة مرت بثلاثة أدوار: في الدور الأول كانت بطولة جمع الكلمة والتغلب على النزوع إلى التفرق. والدور الثاني بطولة القرار العظيم في الخروج لمواجهة البرابرة الزاحفين دون انتظارهم في أرض الوطن. والدور الثالث كان البطولة التي بدت في القتال[٦٨]. ومع تعداد غربال للصورة السابقة من البطولة الجماعية إلا أن إيمانه بالبطولة الفردية يفوق اعتقاده بالبطولة الجماعية، ويقول في هذا الصدد: «إن الجماهير وحدها وبلا قيادة لا تستطيع أن تصنع شيئًا على الإطلاق... إن الجماهير دائمًا في حاجة إلى من يكتشفها.. إنها في حاجة إلى رمز تنتقده وتشجعه وتقدسه وتنقل حرارتها إليه..ثم تسير وراءه.. هذا الرمز هو الفرد.. هو الزعيم»[٦٩].

* * *

قضايا التاريخ الإسلامي الخاص بمصر:

وأولها الصيغة التي يجب استخدامها في التعبير **هل تاريخ مصر أم تاريخ المصريين؟**: ويتساءل شفيق غربال عن نسبة تاريخنا تكون للوطن فنقول تاريخ مصر أم للقوم من المصريين ونقول تاريخ المصريين، أنقصد بذلك أصحاب هذا الوطن أو الوادي في حقبة معينة، أم نطلقه على أبناء الوادي في جميع الحقب؟ وهل إن أطلقناه

على جميع الحقب الزمنية سيكون في ذلك إهمال الصلات الحقيقية التي كانت لنا في ماضينا وفي حاضرنا بمجتمعات وحضارات عالمية؟. وإن لم نطلق الوصف (مصري) على جميع العصور أفلا يكون في ذلك قدر مهم من إهمال العلاقات الحقيقية القائمة بين أطوار التاريخ في هذا الوادي؟، ويطرح غربال هذه التساؤلات المهمة داعيًا المؤرخين إلى مناقشتها من غير استسهال التعميم والتقرير في هذه الشؤون الخطيرة[٧٠].

القضية الثانية هنا هي **قضية الأصول العرقية للمصريين**. يشكل رؤية تتردد على كثير من الألسن بالرغم من عدم تماشيها مع الواقع التاريخي. ولقد تناول شفيق غربال منذ أكثر من خمسين عامًا هذا الأمر؛ خاصة أنه لا بد للمؤرخ أن يتصدى للمشكلات في واقعه ولا ينفصل عنها. وتدور دراسته لهذه القضية على عدة أفكار أهمها:

١- نقد الرأي الذي يظنه البعض ممن يعنيهم البحث عن ذرارى قدماء المصريين أنهم يعثرون عليهم في ريف مصر أو في طائفة الأقباط، وينقد ذلك بالقول إن الريف المصري لم يكن بعيدًا عن التأثيرات الخارجية كما يفترض أصحاب هذا الرأي حيث كان هو البقعة التي استوطن فيها مرتزقة المحاربين من الإغريق، وكذلك رجال القبائل من العرب وبدو الصحراء، أما من يعتقد أنه سيجد بغيته في طائفة الأقباط فاحتمال وجودهم فيهم مثل احتمال وجودهم في غيرهم[٧١]، وذلك لأن السلالات المصرية تأثرت عبر تاريخها بمن وفد عليهم واختلط بهم.

٢- أن الإسلام انتشر في مصر عن طريق اعتناق سكان البلاد المسيحيين الإسلام[٧٢].

٣- اختلاط المسلمين الوافدين بالمسلمين من أهل البلاد، كما اختلط المسيحيون الذين جاءوا من الشام بالأقباط وغيرهم[٧٣].

٤- «ارتباط مصر بدار الإسلام فتح أبوابها ــ وبخاصة أبواب مدنها ــ للمستوطنين من البلدان الإسلامية الأخرى، وبخاصة من بلاد المغرب ومن فلسطين وسوريا وقيام دول من المماليك، واعتماد تلك الدول على جيوش مؤلفة من أبناء الرق أدى إلى قدوم جموع من الجواري والعبيد من مختلف العناصر والأجناس من أتراك وشراكسة وصقالبة ومن إليهم، أضف إليهم مستوطنين من شتى السلالات الأفريقية»[٧٤].

وثالث القضايا بالنسبة للتاريخ المصري الإسلامي تتمثل في **قضية السمات الحضارية لمصر**. وهي ما يطرحه غربال على هيئة أفكار دون تقديم تفصيلات خاصة بها، ومن أهمها:

١- حدوث نوع من التكافؤ بين الاستمرار وبين التغير في التاريخ المصري بعد دخول مصر في الإسلام، ولم تشهد رجحان كفة مبدأ التغير في التاريخ المصري إلا عند استهلال القرن التاسع عشر وبدء الاتصال بالغرب[٧٥].

٢- تطور مصر الإسلامية جرى على نسق خاص بها، مع سرعة تأثره بمبادئ الإسلام الأساسية وبالحركات الإسلامية عامة.

٣- تركز الحياة العامة في الحواضر وبخاصة في الحاضرة الكبرى[٧٦]. وبالرغم من أن مصر كان بها مراكز حضرية لها مكانتها إلا أن الحضارة المصرية ظلت حضارة مجتمع ريفي خلال آلاف السنين من تاريخها[٧٧].

٤- الخصوصية الحضارية المصرية في العصر الإسلامي وهي تلك الخصوصية التي ظهرت بعض معالمها في اتجاهات معينة للفقه الإسلامي، ومساهمة الأدب الشعبي المصري القديم في الأدب الشعبي العربي[٧٨].

٥- واتصفت الثقافة الإسلامية في مصر بالوسطية والأصالة، وتميزت ببقائها فترات طويلة وعدم تلقيها ضربات قاصمة أو نكبات كتلك التي تعرضت لها المغرب على أيدي القبائل البدوية، أو الأندلس من إبادة وفناء، أو الشام والعراق وما حل بهما من تدمير وخراب على أيدي المغول[٧٩].

٦- كان للمسيحيين المصريين سواء من احتفظ بمسيحيته أو تحول إلى الإسلام دور بارز في إجراء الملاءمة بين العناصر الثقافية الوافدة وبين المجتمع المصري[٨٠] ويرى غربال أنه ليس من اليسير الكلام عن مساهمة الأقباط في الجانب العقلي من الثقافة الإسلامية، والأسلم ــ في رأيه ــ أن يدمج العنصر المسيحي المصري الخاص في مجموع ما ساهم به الفكر الهيليني والفكر السرياني المسيحي في بناء صرح الثقافة الإسلامية عامة[٨١].

* * *

الهوامش:

(١) هناك الكثير من الكتابات حول شفيق غربال، ومنها: عبد الرحمن زكي: محمد شفيق غربال ١٨٩٤ــ١٩٦١م. مجلة جمعية الآثار القبطية. المجلد ١٦ (١٩٦١ــ١٩٦٢م). القاهرة، مطبعة المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية، ١٩٦٢م، ص ص ٢ــ٣؛ أحمد عبد الرحيم مصطفى: شفيق غربال مؤرخاً. المجلة التاريخية المصرية. مج ١١، ١٩٦٣م، ص ص ٢٥٥ــ٢٧٨؛ خير الدين الزركلي: الأعلام. بيروت، دار العلم للملايين، ط١٥، ٢٠٠٢م. ج٦ ص ١٥٩؛ نقولا يوسف: أعلام من الإسكندرية. الإسكندرية، منشأة المعارف، ١٩٦٩م، ص ص ٢٩٥ــ٢٩٩؛ عبد المنعم الجميعي: اتجاهات الكتابة التاريخية في تاريخ مصر الحديث والمعاصر "القرنين التاسع عشر والعشرين". القاهرة، عين للدراسات والبحوث، ١٩٩٤م، ص ص ١٥٩ــ١٧٠؛ أحمد زكريا الشلق: من الحوليات إلى التاريخ العلمي ــ نهضة الكتابة التاريخية في مصر. سلسلة مصر النهضة (٨٤). القاهرة، دار الكتب والوثائق القومية، ٢٠١١م، ص ص ١٧٤ــ١٨٠.

(٢) يجدر بالذكر أن هذه المجموعة من كتابات شفيق غربال ستصدر في مجلدين، وهي قيد الطبع الآن بدار الكتب والوثائق القومية تحت عنوان: "تراث محمد شفيق غربال ــ البحوث والمقالات".

(٣) محمد رفعت: كلمته في تأبين محمد شفيق غربال بمعهد الدراسات العربية العالية، ديسمبر ١٩٦١م. المجلة التاريخية المصرية. مج ١٩، ١٩٧٢م، ص ٨.

(٤) محمد أنيس: شفيق غربال ومدرسة التاريخ المصري الحديث. مجلة المجلة. السنة الخامسة، العدد ٥٨، نوفمبر ١٩٦١م، ص ١٥ هامش (١).

(٥) العقاد: شفيق غربال في ذمة الله. جريدة الأخبار. ٢٥ أكتوبر ١٩٦١م؛ يوميات. القاهرة، ط٢، دار المعارف، ١٩٨٥م، ج٤ ص٦١٨.

(٦) من تقديم محمد شفيق غربال لكتاب السلاح في الإسلام، لعبد الرحمن زكي. القاهرة، دار المعارف، ١٩٥١م.

(٧) من تقديم محمد شفيق غربال لدراسة "ضبط وتحقيق الألفاظ الاصطلاحية التاريخية الواردة في كتاب مفاتيح العلوم للخوارزمي" ليحيى الخشاب، والسيد الباز العريني. المجلة التاريخية المصرية. المجلد السابع، ١٩٥٨م، ص١٦١و٢١٣.

(٨) مؤتمر مجمع اللغة العربية. الدورة ٢٦، ج٩ للمؤتمر، مجموعة البحوث والمحاضرات، ١٩٥٩ــ١٩٦٠م، ص ص ١٩٥ــ٢٠٢.

(٩) محمد شفيق غربال: كيف دخلت بعض المصطلحات السياسية في اللغة العربية، ص ١٩٨.

(١٠) محمد شفيق غربال: العرب في التاريخ. مجلة الإذاعة المصرية. العدد ٨٥٣، السبت ٢١ يوليو ١٩٥١م، ص ٦.

(١١) محمد شفيق غربال: كيف دخلت بعض المصطلحات...، ص ١٩٥.

(١٢) المرجع نفسه، ص ١٩٧.

(١٣) محمد شفيق غربال: الآراء والحركات في التاريخ الإسلامي.[ضمن كتاب: الإسلام الصراط المستقيم. إشراف: كنيث.و.مورغان. ترجمة: محمود عبد الله يعقوب، مراجعة: نور الدين الواعظ. القاهرة، مؤسسة فرنكلين، بغداد ــ القاهرة ــ بيروت ــ نيويورك، ١٩٦١م، ج١ ص ص ٦٨.

(١٤) محمد شفيق غربال: محمد علي الكبير. لجنة ترجمة دائرة المعارف الإسلامية، (أعلام الإسلام ــ٨). القاهرة، دار إحياء الكتب العربية، ١٩٤٤م، ص ٣.

(١٥) محمد شفيق غربال: من زاوية القاهرة، القاهرة، الدار القومية، ١٩٦٢م، ص١٨. ويُلاحظ أن شفيق غربال ــ بالرغم من ذلك ــ يستخدم مصطلح (التاريخ العربي) في الكتاب نفسه في سياقات خاصة. انظر: من زاوية القاهرة، ص ص ٩ــ١٠.

(١٦) محمد شفيق غربال: محمد علي الكبير، ص ٤.

(١٧) تقديم محمد شفيق غربال لكتاب: الشرق الإسلامي في العصر الحديث، لحسين مؤنس. القاهرة، مطبعة حجازي، ط٢، ١٩٣٨م. ص ص (د ــ هـ).

(١٨) محمد شفيق غربال: أهم الأحداث في تاريخ مصر الحديث وأثرها في مركز مصر الحاضر.[ضمن محاضرات الموسم الثقافي الأول للجامعة الشعبية (التي أُلقيت بدار الجمعية الجغرافية الملكية، مارس ــ مايو ١٩٤٦م)]. القاهرة، مطبعة دار الكتب، ١٩٤٧م، ص ٨.

(١٩) محمد شفيق غربال: في متحف الحضارة المصرية. مجلة الإذاعة المصرية. العدد ٧٣١، السبت ١٨ مارس ١٩٤٩م، ص ٦.

(٢٠) محمد شفيق غربال: كتب جديدة. مجلة الإذاعة المصرية. العدد ٨٠٨، السبت ٩ سبتمبر ١٩٥٠م، ص ٦.

(٢١) محمد شفيق غربال: تكوين مصر. نقله إلى العربية بمعاونة محمد رفعت. القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٥٧م، ص ص ٧٧ــ٧٨.

(٢٢) محمد شفيق غربال: منهاج مفصل لدروس في العوامل التاريخية في بناء الأمة العربية على ما هي عليه اليوم. القاهرة، جامعة الدول العربية، ١٩٦١م، ص١٣٠.

(٢٣) محمد شفيق غربال: أساليب كتابة التاريخ عند العرب. مجلة مجمع اللغة العربية. ج١٤ سنة ١٩٦٢ص ص ٢٥ــ٢٦.

(٢٤) محمد شفيق غربال: التجمع والتفرق في الشرق العربي. مجلة الإذاعة المصرية. العدد ٧١٩، السبت ٢٥ ديسمبر ١٩٤٨م، ص ٦.

(٢٥) محمد شفيق غربال: أعظم كتب التاريخ في هذا الزمان. مجلة الراديو المصري. العدد ٦٧٨. السبت ١٣ مارس ١٩٤٨م، ص ٩.

(٢٦) محمد شفيق غربال: العرب في التاريخ، ص ٦.

(٢٧) محمد شفيق غربال: أساليب كتابة التاريخ عند العرب، ص ٢٦.

(٢٨) محمد شفيق غربال: مصادر الإلهام عند بعض المؤرخين. مجلة الهلال. السنة ٦٢ــ الجزء ١١، نوفمبر ١٩٥٤م، ص ص ٤٣ــ٤٩.

(٢٩) محمد شفيق غربال: أحكام المؤرخين على الرجال. مجلة الهلال. السنة ٦٣ــ الجزء٤، إبريل ١٩٥٥م، ص ٤٢.

(٣٠) محمد شفيق غربال: أساليب كتابة التاريخ عند العرب، ص ٣٣.

(٣١) المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

(٣٢) سامي خشبة: مفكرون من مصر. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٠م، ص ١٩٥.

(٣٣) من تقديم شفيق غربال لكتاب: السلاح في الإسلام، لعبد الرحمن زكي.

(٣٤) محمد شفيق غربال: العرب في التاريخ، ص ٧.

(٣٥) المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

(٣٦) تقديم محمد شفيق غربال لكتاب: القوى البحرية والتجارية في حوض البحر المتوسط، لأرشيبالد لويس. ترجمة: أحمد عيسى. القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٦٠م، ص ٣٥ و٣٨.

(٣٧) محمد شفيق غربال: صحيفة من تاريخ الأزهر. مجلة الأزهر. المجلد ٢٣ــ الجزء ٩، رمضان ١٣٧١هـ ــ مايو ١٩٥٢م، ص ٥٩.

(٣٨) عبد المنعم الجميعي: الجمعية المصرية للدراسات التاريخية ــ دراسة تاريخية لمؤسسة علمية ١٩٤٥ــ١٩٨٥م، ص١٠٩.

(٣٩) تقديم محمد شفيق غربال لكتاب: القوى البحرية والتجارية، ص ٣٧.

(٤٠) محمد شفيق غربال: رسالة المؤرخ. مجلة الهلال. السنة ٦٥ــ الجزء٤، أبريل ١٩٥٧م، ص ١٣.

(٤١) محمد شفيق غربال: وجوب العودة للتأليف التاريخي على أساس الخطط. [ضمن التاريخ والآثار ــ الحلقة الدراسية الأولى ٤ــ٩ من فبراير سنة ١٩٦١م]. القاهرة، المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية، ١٩٦٢م. ص ١٥١.

(٤٢) المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

(٤٣) محمد شفيق غربال: من زاوية القاهرة، ص١٧.

(٤٤) محمد شفيق غربال: العرب في التاريخ، ص ٦.

(٤٥) محمد شفيق غربال: من زاوية القاهرة، ص٢٨ ــ ٢٩.

(٤٦) محمد شفيق غربال: محمد علي الكبير، ص ٧٢.

(٤٧) محمد شفيق غربال: العرب في التاريخ، ص ٧.

(٤٨) محمد شفيق غربال: من زاوية القاهرة، ص٣٠.

(٤٩) محمد شفيق غربال: من زاوية القاهرة، ص٢٠ــ ٢١.

(٥٠) انظر نقد شفيق غربال الكامل لآراء لامانس في: دائرة المعارف الإسلامية. ج١٣، ص ص ١٠٥ــ١٠٩.

(٥١) محمد شفيق غربال: الحضارة العربية بإسبانيا. مجلة الإذاعة المصرية. العدد ٧٢٨، السبت ٢٧ يناير ١٩٥١م، ص ٧.

(٥٢) محمد شفيق غربال: الآراء والحركات في التاريخ الإسلامي، ص ص ٦٤ــ٩٤.

(٥٣) المرجع نفسه، ص ص ٦٣ ــ ٦٤.

(٥٤) محمد شفيق غربال: منهاج مفصل لدروس في العوامل التاريخية ...، ص ١٢٣.

(٥٥) محمد شفيق غربال: الجامعة الإسلامية واتحاد العرب. مجلة الهلال. السنة ٦٣ــ الجزء١، يناير ١٩٥٥م، ص ص ٤٨ــ٤٩.

(٥٦) محمد شفيق غربال: الآراء والحركات في التاريخ الإسلامي، ص ٧٣.

(٥٧) المرجع نفسه، ص٩٤.

(٥٨) محمد شفيق غربال: حضارات البحر الأبيض المتوسط. مجلة الإذاعة المصرية. العدد ٨٤٥، السبت ٢٦ مايو ١٩٥١م، ص ٧.

(٥٩) المرجع نفسه، ص ٧.

(٦٠) محمد شفيق غربال: من زاوية القاهرة، ص٨١.

(٦١) محمد شفيق غربال: محمد علي الكبير، ص ٦٢.

(٦٢) محمد شفيق غربال: الشخصيات البارزة في تاريخ مصر الحديث. مجلة الإذاعة المصرية. العدد ٧٠١، السبت ٢١ أغسطس ١٩٤٨م، ص ٦.

(٦٣) المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

(٦٤) المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

(٦٥) محمد شفيق غربال: أحكام المؤرخين على الرجال. مجلة الهلال. السنة ٦٣ــ الجزء٤، أبريل ١٩٥٥م، ص ٤١.

(٦٦) محمد شفيق غربال: الشخصيات البارزة، ص ٦.

(٦٧) محمد شفيق غربال: تكوين مصر، ص ٢.

(٦٨) محمد شفيق غربال: من زاوية القاهرة، ص٨٢.

(٦٩) من حوار أجراه: عبد التواب عبد الحي مع المؤرخ شفيق غربال؛ وذلك في مقالته : "مع المؤرخ شفيق غربال". والمنشورة بمجلة الإذاعة. العدد ١١٩٢، السبت ١٨ يناير ١٩٥٨م، ص ٢٧.

(٧٠) تقديم محمد شفيق غربال لكتاب: تاريخ الحضارة المصرية(العصر الفرعوني)، لمجموعة من الكتاب، المجلد الأول، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٦٢م. ص ١.

(٧١) محمد شفيق غربال: تكوين مصر، ص ٤.

(٧٢) المرجع نفسه، ص ٧٧.

(٧٣) المرجع نفسه، ص ٧٩.

(٧٤) المرجع نفسه، ص ٧٨ــ٧٩.

(٧٥) المرجع نفسه، ص ٢٠.

(٧٦) محمد شفيق غربال: في متحف الحضارة المصرية، ص ٧.

(٧٧) محمد شفيق غربال: تكوين مصر، ص ٤٣.

(٧٨) المرجع نفسه، ص ٨٢.

(٧٩) المرجع نفسه، ص ٨٣ــ٨٤.

(٨٠) المرجع نفسه، ص ٨١.

(٨١) المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

* * *